# اعتماد اللهجات الجزائرية في الخطاب السياسي الجزائري،حتمية وإستراتيجية

د. نادية بولقدام - جامعة تلمسان

لعل ما يميز الشعب الجزائري، لهجاته المتعددة والمتنوعة، وهي نوعان: العربية والأمازيغية، وكلاهما ممزوج بلغات أخرى كالفرنسية والإسبانية والعبرية والتركية والسواحلية.. مما جعل منها ظاهرة لسانية فريدة من نوعها. فالمتنقل عبر الولايات الجزائرية الثمانية والأربعون، يلاحظ بجلية الاختلافات العميقة في اللهجات المستعملة، زد إلى ذلك الاختلافات الهامة في العادات والتقاليد، حتى أن الولاية الواحدة تضم العديد من اللهجات والعديد من العادات والتقاليد، عبر مختلف دوائرها. من هذا المنطلق، أتساءل: كيف يمكن للسياسيين الجزائريين تمرير رسائلهم وبرامجهم السياسية وأيديولوجياتهم، من أجل خوض معاركهم السياسية، في ظل هذا الزخم الهائل من اللهجات والعقليات التي تميز المجتمع الجزائري؟ فمثلا إن كان السياسي من منطقة تيزيوزو فلسانه أمازيغي، فكيف له أن يُقنع الجمهور في منطقة تلمسان أين تطغى لهجات عربية مختلفة؟

هنالك من يشبه الجزائر بالقارة، والسبب في ذلك يعود أولا لشساعة مساحتها، ثم لاختلاف الأجناس البشرية فيها، وكذا كثرة واختلاف لهجاتها الممزوجة بالفرنسية والعربية والتركية والعبيرية والإسبانية والسواحلية...، زد على ذلك تعدد العادات والتقاليد من منطقة لأخرى. أما ما يجمع التنوعات اللسانية العديدة في الجزائر، فهي اللغة العربية والأمازيغية والفرنسية.

الحقيقة أن الفرد الجزائري ظاهرة لسانية فريدة، ولعل التحولات التاريخية التي شهدتها البلاد منذ أغبر الأزمنة إلى أحدثها، والسياسات الردعية التي اتُخذت، سمحت باحتكاك الجزائريين بالعديد من الأجناس، وبالتالي تركت الأثر بارزا في رسم التركيبة

السوسيوثقافية الجزائرية الآنية.

تُعتبر السلطة ظاهرة اجتماعية، فهي تعني دور القائد في شبكة العلاقات الاجتماعية. حيث أن الظاهرة الاجتماعية تمتاز بأنها مترابطة ومتشابكة مع غيرها من الظواهر ويؤثر بعضها في بعض ويفسر بعضها البعض، فإن العناصر المختلفة للحياة الأخلاقية والاجتماعية تشكل الدولة والأنساق والاتجاهات السياسية. فهناك علاقة بين الدين والحكومة وبين القومية، أو اللغة من جهة والدولة من جهة أخرى.[1]

إن العوامل الاجتماعية تلعب دورا مؤثرا في السلوك السياسي والتنظيمات السياسية، ويصاحبها حراك في مراكز وأوضاع الأفراد، ويؤدي هذا إلى تغيير في توزيع السلطة وميادين الضبط التنظيمي.[2] المقصود من ذلك أن التغير الاجتماعي يمثل حقيقة واقعة نتيجة لعدة عوامل متداخلة ومتشابكة، وأن الظاهرة السياسية تتشكل وفق تساندها مع الظواهر الاجتماعية الأخرى. فالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والعسكرية والروابط الأخرى هي التي تحدد شكل الظاهرة أو النسق السياسي، وبالتالي فإن التغير الذي يعتري البناء

Presthus Robert, Men At The Top, A Study in Community Power, Oxford university Press, New york, 1949, p191.

[2]Mosta Gaetano, The Ruling Class, Mac Graw Hill Book Company, New York 1939, p115.

والنظم الاجتماعية ينعكس على الظاهرة السياسية ويؤدي إلى أنساق سياسية جديدة. هذا ما يمكن ملاحظته من خلال الخطاب السياسي الجزائري. فالسياسي الجزائري هو ابن هذا المجتمع، وبالتالي هو يعلم ويعي أن شعبه من أقصاه إلى أقصاه يتميز بتعدد لهجاته وعقلياته وتقاليده، وبما أنه يسعى إلى إبلاغ ثم إقناع كل فئات المجتمع بقناعاته السياسية، أصبح الاعتماد على اللهجة حتمية لا بد منها. لإثبات ذلك، قمت بدراسة وصفية تحليلية على عينة من الخطب السياسية الجزائرية التي خاضها ممثلو الأحزاب السياسية أثناء الحملة الانتخابية الخاصة بتشريعيات 17 ماي 2007، إضافة إلى الخطب التي خاضها السيد عبد العزيز بوتفليقة أثناء حملته الانتخابية لرئاسيات 1999، كما دعمت العينة بخطب للرئيسين الراحلين هواري بومدين و محمد بوضياف. اعتمدت في هذا المقام التركيز على الجانب المتغير في هذه الخطب، فلاحظت أن الفكرة تبقى

نفسها أما اللغة فتتغير حسب المنطقة التي يلقي فيها السياسي خطبته. الجدول التالي يوضح ذلك:

| عربية كلاسيكية | لهجة جزائرية | لهجة محلية | فرنسية | عربية مبسطة | عربية مبسطة+ لهجة | عربية كلاسيكية+ كلمات من العامية | لغة عربية+ فرنسية | لغة عربية +لهجة | أمازيغية + لهجة عربية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 05 | 11 | 04 | 00 | 02 | 20 | 04 | 05 | 09 | 01 |

من خلال هذا الجدول، المتضمن الأنواع اللغوية الجزائرية الأكثر استعمالا من طرف السياسيين الجزائريين بالأرقام، نلاحظ أنه ضمن 61 خطابا سياسيا، هناك 20 خطابا استعملت فيه عربية مبسطة[1] + لهجة، و11 خطابا استعملت فيه اللهجة الجزائرية[2]، و09 خطب استعملت فيها اللغة العربية الكلاسيكية + اللهجة، و05 منها استعملت فيها اللغة العربية الكلاسيكية، و04 منها استعملت فيها اللهجة المحلية[3]، و 05 استعملت فيها اللهجة + الفرنسية، و 01 استعملت فيها الأمازيغية + لهجة عربية.

من خلال ذلك، نقرأ أن السياسي الجزائري يعتمد كثيرا على اللهجة، والتفاوت يكمن في أن هناك من يدعمها بالفرنسية، أو بأمثال شعبية، أو باللغة العربية الكلاسيكية، أو الأمازيغية ، حسب طبيعة المتلقي. فإن كان هذا الأخير جمهورا مثقفا لجأ السياسي إلى الفرنسية أو العربية الكلاسيكية، مع أن هذا لا يمنعه من استعمال بعض المفردات اللهجية، أما إذا تعلق الأمر بتجمعات شعبية، فيلجأ دائما إلى اللهجة. ولعل خير دليل على هذا، تركيز السيد عبد العزيز بلخادم في محاضرته الموسومة ‹›فنيات الخطاب السياسي›››، على الجانب الثقافي والاجتماعي للمتلقي، قائلا: ‹› يجب أن نتمكن من فضاءات شعبنا حتى نتمكن من تبليغ الرسالة››[4] . فانتقاء كلمات وعبارات الخطاب يجب أن يؤخذ فيها الجانب الثقافي والاجتماعي للمتلقي بعين الاعتبار، حتى تمر الأفكار ويتبناها المجتمع. من هذا المنطلق، نقول أن اعتماد اللهجات الجزائرية في الخطاب السياسي الجزائري حتمية و إستراتيجية.

1 عربية مبسطة، أي لغة عربية بسيطة، خالية من المفردات والعبارات المعقدة التي لا يفهمها عامة الناس.

2 اللهجة الجزائرية، أي تلك اللهجة الموحدة لمجمل اللهجات الجزائرية، تلك التي بدأت تظهر في الأفلام والمسلسلات الجزائرية والتي تعود علها جميع الجزائريين، ويفهمونها جميعا.

3 اللهجة المحلية، هي اللهجة التي تخص أحد المناطق دون سواها، كلهجة تلمسان ولهجة عنابة ولهجة وهران ...

4 محاضرة تحت عنوان ‹›فنيات الخطاب السياسي›››، قدمها السيد عبد العزيز بلخادم، الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائري، يوم 28.02.2010.